علي بن أبي طالب وأبا موسى يصلان من اليمن

حيث كانا قد علما بتحركه عليه السلام لأداء الحج فلحقا به، وكان لكل واحد منهما حالة تختلف عن الآخر، فقد «قدم علي من اليمن ببدن النبي ﷺ[1]، فوجد فاطمة رضي الله عنها ممن حل ولبست ثياباً صبيغاً واكتحلت، فأنكر ذلك عليها. فقالت: إن أبي أمرني بهذا.

فكان علي يقول بالعراق: فذهبت إلى رسول الله ﷺ محرشاً[2] على فاطمة للذي صنعت، مستفتياً لرسول الله ﷺ فيما ذكرت عنه، فأخبرته أني أنكرت ذلك عليها؟ فقال: صدقت.. صدقت. ماذا قلت حين فرضت الحج؟ قال: قلت: اللهم إني أهلّ بما أهلّ به رسولك. قال: فإن معي الهدي، فلا تحل.

فكان جماعة الهدي[3] الذي قدم به علي من اليمن والذي أتى به النبي ﷺ مائة. فحل الناس كلهم وقصروا، إلا النبي ﷺ ومن كان معه هدي»[4] يقول جابر رضي الله عنه: «لم يكن مع أحد منا هدي غير النبي ﷺ وطلحة، وجاء علي من اليمن معه الهدي، فقال أهللت بما أهل به رسول الله ﷺ»[5]

أما أبو موسى فيقول رضي الله عنه: «كان رسول الله ﷺ بعثني إلى اليمن، فوافقته في العام الذي حج فيه، فقال لي رسول الله ﷺ: يا أبا موسى كيف قلت حين أحرمت؟ قلت: لبيك إهلالاً كإهلال النبي ﷺ. فقال: هل سقت هدياً؟ فقلت: لا.

قال: فانطلق فطف بالبيت، وبين الصفا والمروة، ثم أحل»[6] «ففعلت حتى مشطت لي امرأة من نساء بني قيس»[7]

وبذلك بقي علي بن أبي طالب في إحرامه، لأنه ساق الحيوانات (الهدي) معه، وخلع أبو موسى إحرامه بعد العمرة لأنه لم يحضر معه هدياً، أي أن علياً أصبح قارناً،

---

(١) البدن هي ما يهدى للحرم من الإبل والبقر.

(٢) أي يريد من النبي ﷺ أن يعاتبها.

(٣) أي مجموع الإبل والبقر التي أحضرها علي وأحضرها النبي عليه السلام.

(٤) حديث جابر الصحيح عند مسلم.

(٥) صحيح البخاري ٦-٢٦٤٢.

(٦) صحيح مسلم ٢-٨٩٦.

(٧) صحيح البخاري ٤-١٥٧٩.

أما أبو موسى فصار متمتعاً مثل جابر الذي يقول: «خرجنا مع رسول الله ﷺ مهلين بالحج معنا النساء والولدان فلما قدمنا مكة طفنا بالبيت وبالصفا والمروة فقال لنا رسول الله ﷺ: من لم يكن معه هدي فليحلل قلنا: أي الحل؟ قال: الحل كله. قال: فأتينا النساء ولبسنا الثياب ومسسنا الطيب»[1]

واستمر الوضع على هذه الحال حتى:

جاء اليوم الثامن من ذي الحجة

وهو المسمى بـ (يوم التروية) وهو بداية أيام الحج.

يقول جابر: إنه لما «كان يوم التروية أهلوا بالحج»[2] حيث غادر النبي ﷺ الحجون متجهاً بالجموع نحو (منى) لقضاء يوم التروية كاملاً فيها «فلما كان يوم التروية توجهوا إلى منى، فأهلوا بالحج، وركب رسول الله ﷺ فصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر»[3]. كان يوماً جميلاً حافلاً بذكر الله، لكنه كان يوماً حزيناً بالنسبة لعائشة التي يتحدث جابر بن عبد الله عن بكائها ذلك اليوم فيقول: «أهللنا يوم التروية، ثم دخل رسول الله ﷺ على عائشة رضي الله عنها فوجدها تبكي. فقال: ما شأنك؟

قالت: شأني أني قد حضت، وقد حل الناس، ولم أحلل، ولم أطف بالبيت، والناس يذهبون إلى الحج الآن.

فقال: إن هذا أمر كتبه الله على بنات آدم، فاغتسلي ثم أهلي بالحج. ففعلت»[4] عائشة ما أمرت به، ودخلت في الحج يوم التروية، حيث يسن أن يقضي الحجاج ذلك اليوم في منى. وليس هناك أذكار مخصوصة أو أفعال مخصوصة في ذلك اليوم، سوى التزود بالطاعات، ومحاولة ضبط النفس عن الانفعال في تلك الأيام التي يشتد فيها الزحام، وأحياناً العطش والتعب. فالحج جهاد ومجاهدة للانفعالات وردود الأفعال البشرية غير المحمودة.

---

(١) صحيح مسلم ٢-٨٨٢.
(٢) صحيح البخاري ٢-٥٦٢.
(٣) صحيح مسلم ٢-٨٨٩.
(٤) صحيح مسلم ٢-٨٨١.

وجاء اليوم التاسع (يوم عرفة)

فبعد أن صلى النبي ﷺ وأصحابه فجر ذلك اليوم في منى.. أمر بعض صحابته ببناء خيمة صغيرة في مكان في عرفة يسمى (نمرة)، ثم تحرك هو وأصحابه نحو عرفة وكان الصحابة بين:

التكبير والتلبية يوم عرفة

فقد سأل رجل أنس بن مالك: عن الذكر في الطريق «من منى إلى عرفة: كيف كنتم تصنعون في هذا اليوم مع رسول الله ﷺ؟

فقال: كان يهل منا المهل، فلا ينكر عليه، ويكبر منا المكبر، فلا ينكر عليه»

توقف ﷺ عند تلك الخيمة، وبقي تحتها حتى مالت الشمس من فوق الرؤوس نحو الغروب، وهو وقت صلاة الظهر، أو ما يسمى بالزوال. يقول جابر: «إن النبي ﷺ صلى الفجر، ثم مكث قليلاً حتى طلعت الشمس، وأمر بقبة من شعر تضرب له بنمرة، فسار رسول الله ﷺ ولا تشك قريش إلا أنه واقف عند المشعر الحرام، كما كانت قريش تصنع في الجاهلية، فأجاز[1] رسول الله ﷺ حتى أتى عرفة، فوجد القبة قد ضربت له بنمرة فنزل بها»[2] حيث خطب الناس هناك، وكانت:

الخطبة يوم عرفة

قصيرة ومختصرة، رغم أن الخطيب كان أبلغ الناس، وأعلم الناس، وأكثرهم تأثيراً، وأنه لا ينطق عن الهوى.. ورغم أن الناس لن يملوا حديثه، إلا أنه سن سنته لمن بعده أن يقصروا الخطبة.

يقول جابر «حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء فرحلت له فأتى بطن الوادي، فخطب الناس وقال: إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا.

---

(١) أي تحرك ولم يتوقف كما توقعوا.

(٢) حديث جابر عند مسلم ٢-٨٩٠.

ألا كل شـــيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع[1]، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضع من دمائنا، دم بن ربيعة بن الحارث، كان مســترضعاً في بين ســعد فقتلته هذيل.

وربــا الجاهليــة موضوع، وأول ربــاً أضع ربانا، ربا عباس بن عبــد المطلب، فإنه موضوع كله.

فاتقوا الله في النســاء، فإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح. ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف.

وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله وأنتم تسألون عني[2] فما أنتم قائلون؟

قالوا: نشهد أنك قد بلغت، وأديت، ونصحت،

فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء، وينكتها إلى الناس:

اللهم اشهد، اللهم اشهد. ثلاث مرات»[3]

صلاة الظهر والعصر في عرفة

«ثــم أذن ثم أقام فصلى الظهر، ثم أقام فصلى العصر ولم يصل بينهما شــيئاً»[4] ثم تحرك لـ:

الوقوف عند جبل عرفة

«ثم ركب رسول الله ﷺ حتى أتى الموقف، فجعل بطن ناقته القصواء إلى الصخرات، وجعل حبل المشاة بين يديه، واستقبل القبلة، فلم يزل واقفاً حتى غربت الشمس وذهبت الصفرة قليلاً، حتى غاب القرص»[5]. وقبل أن نغادر عرفة نود أن نعرف:

---

(١) أي باطل ساقط لا قيمة له.

(٢) ستسألون عني يوم القيامة أو في القبر.

(٣) حديث جابر عند مسلم.

(٤) حديث جابر عند مسلم.

(٥) حديث جابر عند مسلم.

أي الأماكن من عرفة يجوز الوقوف بها

يقول عليه السلام: «وقفت ههنا وعرفة كلها موقف»[1] أما عن:

فضل يوم عرفة

فتقول عائشة: «إن رسول الله ﷺ قال: ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء؟»[2]. وقد قدم أناس من أهل نجد يوم عرفة متوجهين بسؤال عن الحج.. ذلك السؤال الذي حملت إجابته:

أهمية الوقوف بعرفة بالنسبة للحجاج

يقول الصحابي: عبد الرحمن بن يعمر الديلي رضي الله عنه: «رأيت رسول الله ﷺ واقفاً بعرفات، فأقبل أناس من أهل نجد فسألوه عن الحج؟ فقال: الحج يوم عرفة. من أدرك قبل صلاة الصبح فقد أدرك الحج»[3] أي أن من لم يقف بعرفة قبل طلوع الفجر من هذه الليلة، فقد فاته الحج، ومن وقف بعرفة ولو ساعة من نهار أو ليل، فقد أدرك الحج.

وبعد أن غابت الشمس ركب عليه السلام ناقته لـ:

مغادرة عرفة نحو مزدلفة

ولمزدلفة اسم آخر هو: (جمع) يقول جابر رضي الله عنه «وأردف أسامة خلفه ودفع رسول الله ﷺ وقد شنق للقصواء الزمام، حتى إن رأسها ليصيب مورك رحله، ويقول بيده اليمنى: أيها الناس السكينة.. السكينة.

كلما أتى جبلاً من الجبال أرخى لها قليلاً، حتى تصعد، حتى أتى المزدلفة»[4] ولما سئل أسامة بن زيد رضي الله عنه عن طريقة سير النبي ﷺ نحو مزدلفة: «كيف كان

---

(١) صحيح مسلم ٢-٨٩٣.

(٢) صحيح مسلم ٢-٩٨٢.

(٣) سنده صحيح رواه البيهقي ٥-١٥٢ وغيره من طرق عن بكير بن عطاء عن عبد الرحمن ابن يعمر الديلي وبكير بن عطاء الليثي تابعي ثقة من رجال التقريب ١-١٠٨.

(٤) حديث جابر.

رسول الله ﷺ يسير في حجة الوداع حين دفع؟ قال: كان يسير العنق، فإذا وجد فجوة نص»[1] أي كان يسير ببطء في المكان الضيق، حتى لا يتضايق من وراءه من الزحام، فإذا وجد طريقاً فسيحاً انطلق.

ويقول: «ابن عباس رضي الله عنهما: أنه دفع مع النبي ﷺ يوم عرفة، فسمع النبي ﷺ وراءه زجراً شديداً، وضرباً، وصوتاً للإبل. فأشار بسوطه إليهم وقال: أيها الناس عليكم بالسكينة، فإن البر ليس بالإيضاع»[2] أي ليس البر أن ترغموا الرواحل على السرعة.

استمر الحال على ذلك حتى توقف النبي ﷺ في الطريق، وعن ذلك التوقف يقول رديف النبي ﷺ أسامة بن زيد رضي الله عنه: «دفع رسول الله ﷺ من عرفة حتى إذا كان بالشعب نزل فبال، ثم توضأ ولم يسبغ الوضوء، فقلت: الصلاة يا رسول الله.

فقال: الصلاة أمامك. فركب، فلما جاء المزدلفة نزل فتوضأ فأسبغ الوضوء، ثم أقيمت الصلاة فصلى المغرب، ثم أناخ كل إنسان بعيره في منزله، ثم أقيمت العشاء فصلى ولم يصل بينهما»[3]

في تلك الأثناء وصل رجل من جبل طي.. أنهكه التعب، وأنهك راحلته، حيث كان يقوم بعمل غريب ومرهق جداً، رغبة في إدراك الحج. كان لا يمر بجبل من جبال مكة إلا وقف عليه، حتى انتهى إلى النبي ﷺ وهو في مزدلفة.. عندها طرح أسئلته التي بينت:

أهمية الوقوف بمزدلفة

كان اسم ذلك الصحابي: «عروة بن مضرس بن أوس بن حارثة بن لام الطائي، قال: أتيت رسول الله ﷺ بالمزدلفة، فقلت: يا رسول الله جئت من جبلي طيء، والله ما جئت حتى أتعبت نفسي، وأنضيت راحلتي، وما تركت جبلاً إلا وقفت عليه؟

فقال رسول الله ﷺ: من شهد معنا هذه الصلاة، وقد كان وقف بعرفة قبل ذلك ليلاً أو نهاراً فقد تم حجه، وقضى تفثه»[4]

---

(١) صحيح البخاري ٢-٦٠٠.
(٢) صحيح البخاري ٢-٦٠١.
(٣) صحيح البخاري ١-٦٥.
(٤) سنده صحيح رواه الحميدي ٢-٤٠٠ وغيره من طرق عن الشعبي قال سمعت عروة بن مضرس والشعبي تابعي إمام ثقة معروف.

إذاً فالنبي عليه السلام «وقف بالمزدلفة وقال: وقفت هاهنا والمزدلفة كلها موقف»[1]

ثم نادى النبي ﷺ ابن عباس ومن معه من الصغار والنساء الضعفة، وأمرهم أن يتوجهوا من الليل نحو منى ليرموا الجمرات، وذلك لشدة الزحام المتوقعة غداً، ولكنه نبههم إلى عدم رمي الجمرات قبل طلوع الشمس.

يقول ابن عباس رضي الله عنهما: «أنا ممن قدم رسول الله ﷺ ليلة المزدلفة في ضعفة أهله»[2] وقال أيضاً: «كان رسول الله ﷺ يقدم ضعفاء أهله بغلس ويأمرهم، يعني لا يرمون الجمرة حتى تطلع الشمس»[3]

في تلك الليلة لم يقم النبي ﷺ، ولم يتهجد حيث «اضطجع رسول الله ﷺ حتى طلع الفجر وصلى الفجر حين تبين له الصبح بأذان وإقامة»[4] ثم نهض قبل أن يسفر الجو لـ:

التوجه نحو المشعر الحرام

والمشعر الحرام عبارة عن جبل في منطقة مزدلفة. يقول جابر: «ثم ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام، فاستقبل القبلة فدعاه وكبره وهلله ووحده، فلم يزل واقفاً حتى أسفر جداً»[5] وعن موقفه في مزدلفة يقول عليه السلام: «وقفت ههنا وجمع كلها موقف»[6] وبعد أن أسفر الجو توجه عائداً:

---

(١) سنده صحيح رواه ابن خزيمة ٤-٢٧١ وغيره من طرق عن جعفر ثنا أبي قال أتينا جابر ابن عبد الله وهذا هو سند مسلم.

(٢) سنده صحيح رواه أبو داود ٢-١٩٤ حدثنا أحمد بن حنبل ثنا سفيان أخبرني عبيد الله بن أبي يزيد أنه سمع ابن عباس... وعبيد الله تابعي ثقة من رجال الشيخين: التقريب ١-٥٤٠.

(٣) حديث صحيح رواه أبو داود ٢-١٩٤ والنسائي في الكبرى ٢-٤٣٧ وغيرهما من طرق عن حبيب بن أبي ثابت عن عطاء عن ابن عباس لولا عنعنة حبيب وله شاهد عند ابن ماجه ٢-١٠٠٧ من طريق الحسن العرني عن ابن عباس وفيه إرسال وعند ابن أبي شيبة ٣-٢٣٤ وغيره من طريق المسعودي وهو ضعيف عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس.

(٤) حديث جابر عند مسلم.

(٥) حديث جابر عند مسلم.

(٦) صحيح مسلم ٢-٨٩٣.

إلى منى لرمي جمرة العقبة

يقــول جابر رضي الله عنه: «فدفــع قبل أن تطلع الشــمس، وأردف الفضل ابن عباس، وكان رجلاً حســن الشعر أبيض وسيماً، فلما دفع رسول الله ﷺ مرت به ظعن يجرين فطفق الفضل ينظر إليهن، فوضع رسول الله ﷺ يده على وجه الفضل، فحول الفضل وجهه إلى الشــق الآخر ينظر، فحول رســول الله ﷺ يده من الشق الآخر على وجه الفضل، يصرف وجهه من الشق الآخر حتى»[1]

مر بطريقه بوادي محسر

وهو الوادي الذي أهلك الله فيه أصحاب الفيل، ولذلك أسرع بالسير حتى تجاوز الوادي وهو مستمر في التلبية..

يقول جابر رضي الله عنه أنه عليه الســلام «أتى بطن محســر فحرك قليلاً، ثم سلك الطريق الوسطى التي تخرج على الجمرة الكبرى حتى»[2] وصل إلى منى.

عندها توقف لالتقاط الحصى. لكن ما حجم الحصى، وهل يزيد الأجر كلما كبر حجم الحصاة؟ الإجابة بالعكس.. يرويها لنا ابن عباس الذي أوصاه النبي ﷺ بالتقاط الحصى وحدد له:

حجم الحصى

قال ابن عباس: «قال رســول الله ﷺ غــداة العقبة وهو واقف على راحلته: هات القــط لي. فلقطت له حصيات، وهي حصا الخذف[3] فلما وضعتهن في يده قال: نعم، بأمثال هؤلاء فارمــوا.. بأمثال هؤلاء فارموا.. بأمثال هؤلاء فارموا. وإياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين»[4] ومن الغلو في الدين الرمي بأحجار كبيرة، أو بالأحذية، أو أي شيء غير حصى الخذف الصغير.

---

(١) حديث جابر عند مسلم.

(٢) حديث جابر عند مسلم.

(٣) الرمي بالحصى الصغار بأطراف الأصابع لسان العرب ٩-٤٠.

(٤) ســنده صحيــح رواه ابن حبان - موارد الظمآن ١-٢٤٩ وأبو يعلــى ٤-٣١٦ وغيرهما من طرق عن عوف الأعرابي عن زياد بن حصين حدثني أبو العالية حدثني ابن عباس. أبو العالية رفيع بن مهران تابعي ثقة وتلميذه ثقة التقريب ٢١٠ و٢١٩وعوف ثقة التقريب ٤٣٣.

أخبر النبي ﷺ أصحابه بسنته ثم «أتى الجمرة التي عند الشجرة فرماها بسبع حصيات، يكبر مع كل حصاة منها مثل حصى الخذف رمى من بطن الوادي»[1]

كان عليه السلام يكبر فقط، يعني يقول: الله أكبر لا يزيد ولا ينقص عليها شيء، وهذا معناه أنه:

توقف عن التلبية عند الرمي

كما يقول رديفه الفضل بن عباس رضي الله عنهما: «إن النبي ﷺ لم يزل يلبي حتى رمى جمرة العقبة»[2] وهذا معناه أنه ترك التلبية عند بدء الرمي مباشرة، لأنه انشغل بالتكبير أثناء الرمي، «فرمى الجمرة بسبع حصيات، وجعل البيت عن يساره، ومنى عن يمينه»[3] وقد كان عليه السلام يرمي جمرة العقبة راكباً، ويقدم لأمته صورة من صور التلاحم، والتواضع، والسكينة، وضبط النفس، في شدة الزحام التي تحتاج إلى هذا المستوى الرفيع من التعامل والأخلاق والقيادة.

عظمة هذا النبي يوم الرمي

يقول أحد الصحابة رضي الله عنهم «رأيت رسول الله ﷺ يوم النحر على ناقته صهباء، لا ضرب ولا طرد ولا إليك إليك»[4] أي أن الناس لا يُضربون ولا يُدفعون أثناء مروره، بل لا يقال لهم: أفسحوا الطريق، أو ابتعدوا كي يمر.. كان جزءاً من أمته.. يسبح في مشاعرها، وتسبح في مشاعره.. يمتع ناظريه بهم ويمتعون أنظارهم به.

صحابية أخرى تدعى: أم الحصين «تقول حججت مع رسول الله ﷺ حجة الوداع، فرأيته حين رمى جمرة العقبة، وانصرف وهو على راحلته، ومعه بلال وأسامة أحدهما يقود به راحلته، والآخر رافع ثوبه على رأس رسول الله ﷺ من الشمس. فقال رسول

---

(١) حديث جابر عند مسلم.

(٢) صحيح مسلم ٢-٩٣١.

(٣) صحيح مسلم ٢ - ٩٤٣.

(٤) سنده قوي رواه ابن خزيمة ٤-٢٧٨ والترمذي ٣-٢٤٧ وغيرهم عن أيمن بن نابل أخبرني قدامة بن عبد الله. أيمن تابعي حسن الحديث من رجال البخاري. التقريب ١١٧.

الله ﷺ قولاً كثيراً ثم سمعته يقول: إن أمر عليكم عبد مجدع أسود، يقودكم بكتاب الله تعالى، فاسمعوا له وأطيعوا»[1]

ويقول جابر رضي الله عنه: «رأيت النبي ﷺ يرمي على راحلته يوم النحر ويقول لتأخذوا مناسككم فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه»[2]. ثم تحرك عليه السلام متوجهاً

نحو المذبح

لينحر هديه بيده، ولذلك سمي هذا اليوم بـ (يوم النحر)، ولما وصل عليه السلام قام بذبح ثلاث وستين منها، بيده ثم ترك لعلي رضي الله عنه الباقي ليذبحه. يقول جابر رضي الله عنه: «ثم انصرف إلى المنحر فنحر ثلاثاً وستين بيده»[3] ثم بين لهم:

سنته في نحر الإبل

يقول ابن عمر رضي الله عنه عن هدي النبي ﷺ في نحر هديه من الإبل: «كان هو ينحر هديه بيده، يصفهن قياماً، ويوجههن إلى القبلة، ثم يأكل، ويطعم»[4]

ولذلك لما شاهد ابن عمر رجلاً ينحر إبله وقد أناخها على الأرض، قال له: «ابعثها قياماً مقيدة سنة محمد ﷺ»[5] أما:

سنته في ذبح الغنم

فقد بينها عليه السلام قبل ذلك في المدينة، حيث يقول أنس رضي الله عنه «ضحى النبي ﷺ بكبشين أملحين، فرأيته واضعاً قدمه على صفاحهما يسمي ويكبر فذبحهما بيده»[6] أي وضع قدمه على جنبها و«يقول باسم الله، والله أكبر»[7]

---

(١) صحيح مسلم ٢-٩٤٤.
(٢) صحيح مسلم ٢-٩٤٣.
(٣) حديث جابر عند مسلم.
(٤) سنده صحيح رواه مالك ١-٣٧٩ عن نافع عن عبد الله بن عمر وهذا سند كالذهب.
(٥) صحيح البخاري ٢-٦١٢.
(٦) صحيح البخاري ٥-٢١١٣.
(٧) صحيح مسلم ٣-١٥٥٧.

وقـال رجل لـ «ابن عباس رضي الله عنهما: قوله عز وجل: ﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُمْ مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ﴾ قـال: إذا أردت أن تنحر البدنة فأقمها، ثم قل: الله أكبر الله أكبر، منك ولك، ثم سم، ثم انحرها.

قلت: وأقول ذلك في الأضحية؟ قال: والأضحية»[1] «ثم أمر ﷺ من كل بدنة ببضعة، فجعلت في قدر فطبخت، فأكلا من لحمها وشربا من مرقها»[2] ثم بين لأصحابه:

السماحة في مكان الذبح

فقـال: «نحرت ههنا، ومنـى كلها منحر، فانحروا في رحالكـم»[3] أي اذبحوا في أماكن إقامتكم في منى، دون التكلف للذهاب إلى المذبح.

أما عن الاشـتراك فـي البقر أو الإبل فيقول جابر: «خرجنا مع رسـول الله ﷺ مهلين بالحج، فأمرنا رسـول الله ﷺ أن نشـترك في الإبل والبقر، كل سـبعة منا في بدنة»[4] «فنحرنا البعير عن سبعة، والبقرة عن سبعة»[5]، ثم أرشدهم ﷺ إلى:

التيسير في أمر لحوم الهدي

فبعد أن كانوا لا يأكلون لحوم الهدي إلا لمدة ثلاثة أيام، هي أيام منى، سـمح لهم بالأكل. بل بالتزود من ذلك اللحم، وأخذه معهم إلى ديارهم، وخلال أسفارهم.

يقول جابر: «كنا لا نمسـك لحوم الأضاحي فوق ثلاث، فأمرنا رسول الله ﷺ أن نتـزود منها ونـأكل منها، يعني فوق ثلاث»[6] ويجوز لمن شـاء أن يأخذ من ذلك اللحم ما شـاء إذا أذن صاحبه، فقد قال أحد الصحابة الذين حضروا النبي ﷺ وهو يذبح

---

(١) سـنده صحيح رواه الحاكم ٢-٤٢٢ وغيره عن الأعمش ومنصور وغيرهما عن أبي ظبيان عن ابن عباس. وأبو ظبيان تابعي كبير وثقة من رجال الشيخين: التقريب ١-١٨٢.

(٢) حديث جابر عند مسلم.

(٣) صحيح مسلم ٢-٨٩٣.

(٤) صحيح مسلم ٢-٩٥٥.

(٥) صحيح مسلم ٢-٩٥٥.

(٦) صحيح مسلم ٣-١٥٦٢.

واســمه: «عبد الله بن قرط، قال: قال رســول الله ﷺ: إن أعظم الأيام عند الله يوم النحر، ثم يوم (القر) وهو الذي يليه.

فقدمنا إلى رســول الله ﷺ بدنات خمس، أو ســت فطفقن يزدلفن[1] إليه بأيتهن يبدأ، فلما وجبت جنوبهم تكلم بكلمة خفية لم أفهمها. فقلت للذي يليني: ما قال رسول الله ﷺ؟ قال: من شــاء اقتطع»[2] وقد كان ذلك الســلوك الكريم من النبي ﷺ تأثراً بقولــه تعالى: ﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾[3]

وأرسل النبي ﷺ إلى زوجاته بلحم بقر كان قد ذبحه عنهن.

تقول عائشــة رضي الله عنها: «دخل علينا يوم النحــر بلحم بقر فقلت: ما هذا؟ قال: نحر رسول الله ﷺ عن أزواجه»[4] لكن

ماذا عن الذي لا يستطيع النحر؟

لفقره مثلاً؟

الحجاج أربعة أنواع:

حاج من أهل مكة، فلا يجب الذبح عليه.

حاج مفرد نوى الحج فقط، فليس عليه أن يذبح.

وحاج قارن أحضر معه هديه وانتهى أمره.

---

(١) معجزة للنبي ﷺ وهي أن هذه الحيوانات يسرن نحوه.

(٢) ســنده صحيح رواه البيهقي ٧-٢٨٨ وغيره عن ثور بن يزيد عن راشــد بن سعد عن عبد الله بن لحي عن عبد الله بن قرط. وعبد الله مخضرم ثقة: التقريب ٣١٨ وتلميذه راشد بن سعد تابعي ثقة: التقريب ٢٠٤ وثور بن يزيد ثقة ثبت: التقريب ١٣٥.

(٣) الحج: ٣٧.

(٤) صحيح البخاري ٢-٦١١.

والحـــاج الرابـــع: هو المتمتع وعليه ذبـــح هدي، فإذا عجز عـــن الذبح لظرف من الظـــروف فعليـــه أن يصوم ثلاثة أيام في الحج، وســـبعة أيام إذا رجـــع إلى بلاده لأن الله سبحانه يقول: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾[1]. هذه الآيات التي تعلم بعض أحكام الحج توحي ببعض مكاســـبه - ضبط النفس، والتحكـــم في الغرائز المتوثبة، والامتناع عن الانتصار لغرور الذات، والتفوق الواهم..

آيات تنثر على دروب الحج عطوراً، وتغمر أجواءه بنسيم بارد: حسن الخلق وحسن الجوار والإيثار. ومن الأشياء التي تقدم للحاج المساعدة في أداء ذلك السلوك الجميل.. التزود بالمال والمركب والأمتعة، التي تجعل الرحلة أكثر راحة، والرفقة أكثر متعة. فقد «كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون: نحن المتوكلون. فإذا قدموا مكة ســـألوا الناس، فأنزل الله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ﴾»[2]

إذاً فقد أرسل عليه السلام لنسائه اللحم ثم نادى حلاقه ليقوم بـ:

الحلق بعد النحر

فبعد أن «انصرف إلى البدن فنحرها، والحجام جالس وقال بيده عن رأسه، فحلق شـــقه الأيمن»[3] لقد «ناول الحالق شـــقه الأيمن فحلقه، ثم دعـــا أبا طلحة الأنصاري فأعطاه إياه، ثم ناوله الشق الأيسر، فقال: احلق.

---

(١) البقرة: ١٩٦-١٩٧.

(٢) صحيح البخاري ٢-٥٥٤.

(٣) صحيح مسلم ٢-٩٤٧.

فحلقه، فأعطاه أبا طلحة. فقال: أقسمه بين الناس» وقد كان بيت أنس بن مالك أسعد الناس بشعره ﷺ، فهو لم يعط أبا طلحة فقط، بل أعطى زوجته أم سليم، وهي أم أنس الذي يقول: «وزعه الشعرة، والشعرتين بين الناس»[١] «ثم أشار إلى الحلاق، وإلى الجانب الأيسر، فحلقه فأعطاه أم سليم»[٢]

ثم قال ﷺ: «اللهم اغفر للمحلقين. قالوا: يا رسول الله، وللمقصرين؟

قال: اللهم اغفر للمحلقين. قالوا: يا رسول الله، وللمقصرين؟

قال: اللهم اغفر للمحلقين. قالوا: يا رسول الله، وللمقصرين؟

قال: وللمقصرين»[٣]

أما النساء فقال ﷺ: «ليس على النساء حلق، إنما على النساء التقصير»[٤] ثم توجه ﷺ إلى عائشة لتطيبه، وهذا يعني أنه قد أبيح له الطيب وانتهى من الإحرام.

تقول رضي الله عنها: «طيبت رسول الله ﷺ بيدي هاتين حين أحرم، ولحله حين أحل، قبل أن يطوف وبسطت يديها»[٥] وتقول: «طيبت رسول الله ﷺ لحرمه حين أحرم، ولحله قبل أن يفيض بأطيب ما وجدت»[٦] ومعنى يفيض، أي يطوف بالبيت طوافاً آخر يسمى طواف الإفاضة. وبعد أن تطيب ﷺ:

خطب الناس يوم النحر

وخاطب فيهم إيمانهم بالله.. خاطب فيهم هذا الصفاء، وهذه الأخوة الرائعة.. آملاً أن تستمر دون منغصات. قال ﷺ: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله

---

(١) صحيح مسلم ٢-٩٤٧.

(٢) صحيح مسلم ٢-٩٤٧.

(٣) صحيح مسلم ٢-٩٤٦.

(٤) سنده صحيح رواه الدارمي ٢-٨٩ وغيره من طريق ابن جريج أخبرني عبد الحميد بن جبير عن صفية بنت شيبة أخبرتني أم عثمان بنت أبي سفيان عن بن عباس مرفوعاً.. وعبد الحميد تابعي ثقة: التقريب ٣٣٣ والبقية صحابة.

(٥) صحيح البخاري ٢-٦٢٤.

(٦) صحيح مسلم ٢-٨٤٧.

السموات والأرض، السنة اثنا عشر شهراً، منها أربعة حرم، ثلاث متواليات: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان.

أي شهر هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم.

فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: أليس ذا الحجة؟ قلنا: بلى.

قال: أي بلد هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: أليس البلدة؟ قلنا: بلى.

قال: فأي يوم هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: أليس يوم النحر؟ قلنا: بلى.

قال: فإن دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا، وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، ألا فلا ترجعوا بعدي ضلالاً يضرب بعضكم رقاب بعض. ألا ليبلغ الشاهد الغائب، فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه.

ثم قال: ألا هل بلغت.. ألا هل بلغت»[1]

وبعد أن انتهى عليه السلام من خطبته.. سأله بعض الصحابة عن أشياء كانت الإجابة عليها كلها واحدة هي:

لا حرج

يقول عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: «إنه شهد النبي ﷺ يخطب يوم النحر، فقام إليه رجل فقال: كنت أحسب أن كذا قبل كذا، ثم قام آخر فقال: كنت أحسب أن كذا قبل كذا»[2] لقد «وقف رسول الله ﷺ على راحلته، فطفق ناس يسألونه فيقول القائل منهم: يا رسول الله إني لم أكن أشعر أن الرمي قبل النحر، فنحرت قبل الرمي؟ قال رسول الله ﷺ: فارم ولا حرج. وطفق آخر يقول: إني لم أشعر أن النحر قبل الحلق، فحلقت قبل أن أنحر؟ فيقول: انحر ولا حرج.

---

(١) صحيح البخاري ٥-٢١١٠ وبعد كلمة وأموالكم «قال محمد وأحسبه قال».

(٢) صحيح البخاري ٢-٦١٩.

فما سمعته يسأل يومئذ عن أمر مما ينسى المرء، ويجهل من تقديم بعض الأمور قبل بعض وأشباهها، إلا قال رسول الله ﷺ: افعلوا ذلك ولا حرج»[1] ثم: توجه عليه السلام لمكة لأداء

طواف الإفاضة

يقول جابر رضي الله عنه: «ثم ركب رسول الله ﷺ فأفاض إلى البيت»[2]. ومعنى أفاض، أي طاف طوافاً يسمى طواف الإفاضة، وقد كان عليه السلام في طوافه ذلك راكباً لشدة الزحام، كما تقول عائشة رضي الله عنها: «طاف النبي ﷺ في حجة الوداع حول الكعبة على بعيره، يستلم الركن كراهية أن يضرب عنه الناس»[3]

أما جابر فيعتقد أن هناك سبباً آخر، هو تعليم الناس المناسك.

يقول رضي الله عنه: «طاف النبي ﷺ في حجة الوداع على راحلته بالبيت وبالصفا والمروة، ليراه الناس وليشرف وليسألوه فإن الناس غشوه»[4].

وهنا يتساءل المسلم: كيف يستلم عليه السلام الحجر وهو راكب على بعير؟ والإجابة عند ابن عباس رضي الله عنهما الذي يقول: «إن رسول الله ﷺ طاف بالبيت وهو على بعير، كلما أتى على الركن أشار إليه بشيء في يده وكبر»[5]

سألنا الصحابي أبا الطفيل رضي الله عنه: ما هذا الشيء الذي بيده فقال: «رأيت رسول الله ﷺ يطوف بالبيت، ويستلم الركن بمحجن معه، ويقبل المحجن»[6] والمحجن هو العصا المعوجة الرأس، ويسمى الصولجان أيضاً. لكن ماذا عن الأشخاص ضعيفي البنية، الذين لا يطيقون الزحام وشدته؟

ها هي أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها تتوجه للنبي ﷺ وهو يصلي داخل المسجد، لتسأله عن طوافها وضعفها وتقول: «شكوت إلى رسول الله ﷺ أني أشتكي.

---

(١) صحيح مسلم ٢-٩٤٨.
(٢) صحيح البخاري ٢-٦١٩.
(٣) صحيح مسلم ٢-٩٢٧.
(٤) صحيح مسلم ٢-٩٢٧.
(٥) صحيح البخاري ٢-٥٨٨.
(٦) صحيح مسلم ٢-٩٢٧.

فقال: طوفي من وراء الناس وأنت راكبة. قالت: فطفت»[1] وطافت فاطمة بنت النبي ﷺ وصفية وبقية أمهات المؤمنين، حتى عائشة التي كانت سعيدة أكثر من غيرها بهذا اليوم، فقد طهرت فيه من حيضها، وأصبح بإمكانها الطواف بالبيت، بعد أن أدت مع الحجيج مناسك الحج كلها عدا الطواف.

وإذا كانت عائشة قد طهرت وطافت، فإن صفية قد طافت ثم أصابها الدم بعد طوافها، وعن ذلك تقول عائشة رضي الله عنها «حججنا مع النبي ﷺ فأفضنا يوم النحر، فحاضت صفية. فأراد النبي ﷺ منها ما يريد الرجل من أهله؟ فقلت: يا رسول الله، إنها حائض. قال: حابستنا هي؟ قالوا: يا رسول الله، أفاضت يوم النحر. قال: اخرجوا»[2]

ويعني بذلك أنها لو حاضت قبل طواف الإفاضة، لوجب عليها أن لا تسافر حتى تطوف طواف الإفاضة، لكنها إذا أدت طواف الإفاضة فعليها إكمال باقي مناسك حجها، ثم السفر دون حاجة إلى طواف الوداع قبل مغادرة مكة.

أكمل النبي ﷺ طوافه وصلى ركعتي الطواف ثم قام بـ:

التوجه نحو بئر زمزم للشرب منه

يقول جابر: «فأتى بني عبد المطلب يسقون على زمزم فقال: انزعوا بني عبد المطلب فلولا أن يغلبكم الناس على سقايتكم لنزعت معكم.. فناولوه دلواً فشرب منه»[3] ثم توجه عليه السلام إلى منى.

العودة بعد الإفاضة إلى منى

يقول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «إن رسول الله ﷺ أفاض يوم النحر، ثم رجع فصلى الظهر بمنى»[4]) «فكان ابن عمر يفيض يوم النحر، ثم يرجع فيصلي الظهر بمنى، ويذكر أن النبي ﷺ فعله»[5]

---

(١) صحيح مسلم ٢-٩٢٧.
(٢) صحيح البخاري ٢-٦١٨.
(٣) حديث جابر عند مسلم.
(٤) صحيح مسلم ٢-٩٥٠.
(٥) صحيح مسلم ٢-٩٤٥.